

الحرية الى أقصاها في الجامعة الأميركية في بيروت... وكذلك الهذر واللهو

بيروت - حازم الامين

■ أيام ما قبل الانتخابات الطلابية في الجامعة الأميركية في بيروت. الطلاب الحرييون محبطون من جراء وجودهم في بيئة معارضة. أما العونيون فيقيمون عززالاً أسود يحطوا جدرانهم بأقمشة سود أشبه بتلك التي يقيمها انصار «حزب الله». وفي ساحة «الوست هول» أيضاً منشآت انتخابية أخرى لطلاب «اليسار بلا حدود» و«حركة الشعب» المناصرة للنائب نجاح واكيم، و«كيوسك» للحزب السوري القومي الاجتماعي و«كيوسك» آخر لطلاب مستقلين.

أصوات موسيقى مختلفة تنبعث من أكشاك اللوائح فتندخل موسيقى الروك مع أناشيد المقاومة المنبعثة من كشك «حزب الله» وبين جهتي المتاريس الانتخابية يعبر طلاب أطلقوا شعرهم وزينوا المساحات المختلفة التي تظهر من اجسادهم باقراط معدنية ثقبوا من أجلها سنتهم ويطونهم وانوفهم. أما أذانهم فقد طرزها بعضهم بعشرات من الاقراط.

ولسدة حرارة اليوم الذي يسبق الانتخابات الطلابية في الجامعة، تحسب أنه كرمس العيد، وقد انتقل الى الجامعة. الطلاب فرحون، وهم وإن كانت شعاراتهم متوترة ومحتجة وداعية الى التصدي والتحرير والتغيير، فإن ما يعيشونه من غبطة وحركة وغناء واحتفال ينافي ما يقولونه في قصاصاتهم وشعاراتهم التي قد تصح خارج الجامعة. أما داخلها فيبدو ان الحرية تصل الى اقصاها. فالطلاب العونيون أقاموا في «عززالهم» معرضاً للصور التي التقطت في لحظات اضطرارهم كما يقولون، أيام منع مقابلة العماد ميشال عون التلفزيونية العام الماضي. وأدخل

الطلاب نصرة الشعارات حديد عرضوا عليها صوراً ومقالات وشعارات. وأدخل هذه السفالات مخالف لقرار ادارة الجامعة منع اذخالات انوات واستعمالها في الانتخابات الطلابية. الحرية الى اقصاها في الجامعة الأميركية وكذلك اللهو والهذر وربما العلم ايضاً. ومن يريد ان يقول شيئاً فله ما يريد ضمن قوائين فضفاضة.

قبل الانتخابات بيوم، الجميع منتشغل في حركة يظهر واضحاً أنها غير اعتيادية. الطلاب يذهبون ويجيئون ويتحدثون عبر الهاتف الخليوي.

ويوزعون بيانات باللغتين الإنكليزية والعربية وفتيات أعددن أشكالهن لملل هذه المناسبة وشيان جعلوا من تجسدهم وغنائهم ولائم انتخابية. قبلان فرنجية من «حركة الشعب» يقف عند مدخل الجامعة أمام سيقته الـ «رانج روفر» السوداء ويتحدث عبر الخليوي، محركاً لمحذته كل جسمه، فيما صديقه الجالس داخل السيارة يزوده أوراقاً ولوائح. أما ابن عمه سامر سعيد فرنجية، وهو من تيار «يسار بلا حدود»، فيجلس في كشك تياره ويتحدث مع زملائه الذين مازحه واحد منهم قائلاً «تجارب والدك في الانتخابات غير مشجعة، ويجب البحث في وسائل جديدة للنجاح». وائل نور الدين طالب في الجامعة اللبنانية، لكنه جاء الى الأميركية للاطلاع على سير الانتخابات، لا يعجبه تعامل القوى الطلابية مع بعضها البعض في الجامعة الأميركية، يقول، أنهم ليسوا ديموقراطيين، أنهم ليسوا راديكاليين، وطبيعاً طالب شيوعي.

طلاب الـ «Green-Oval»، وهي ساحة خضراء تتجمع فيها الطالبات والطلاب الضجرون من السياسة والشأن العام، لا يتخجلون ولا ينتخبون. وهم في النهار الذي يسبق الانتخابات، كما في تيار «اليسار بلا حدود» وفي «اليسار بلا حدود» حيث الحفاصة الانتخابية.

أنهم أقل اعتناء من الآخرين بمظاهرهم، إذ اعتبرنا ان الاعتناء هو ترتيب للملابس والألوان، وتنسيق الشعر. وهم أيضاً أقل اكتراثاً لمحيطهم وبيئتهم. ويطلق عليهم زملاؤهم اسم جماعة «What's Cooking»، أي «ماذا طبختم اليوم». وبين هؤلاء الطلاب فريق موسيقى قال أحد أعضائه «إنه كان بنوى الترشح الى هذه الانتخابات».



البعض، لكنه عدل عن ذلك، لأنه اكتشف أن لا مكان للموسيقى وسط هذه المجموعة اللاهثة الى التصدر. لا شك في ان حضور «حزب الله» في الجامعة الأميركية في بيروت يتراجع سنة بعد أخرى. فهو قبل سنوات كان الجهة الوحيدة فيها، وكان لطلابها مكتب وأرقام هواتف ومسؤولون، لكنه بعد حوادث حصلت بين عناصره والطلاب، وادارة الجامعة، بدأ بالتراجع. ويعزو ناشطون في الجامعة تراجعهم الى أسباب عدة منها ان اجراءات اتخذتها ادارة الجامعة ضيقت فيها على الطلاب «الحزب الطهيني» وحالت دون تكاثرهم فيها، ومنها ايضاً ان الكثيرين من هؤلاء الطلاب كانوا يستفيدون من المنح الدراسية التي توقفت المؤسسات التربوية عن منحها، ما حال دون دخول طلاب جدد من بيئات فقيرة الى الجامعة الأميركية، واضحة ومحددة للتيار العوني قوة راجحة في الجامعة الأميركية، واضحة ومحددة

الهندسة، حيث معظم الطلاب مسيحيون. وهو على رغم نصيبه عززاله الاسود حداداً على الحرية قبالة الوست هول، فإن من الواضح ان ناشطيه غير مندمجين في الكتلة الشبابية المتحركة والمدافعة أمام المبنى. أنهم لا يتكلمون مع الصحافة إلا بإذن، ويبدو ان انضباطهم هذا ليس تقليداً طالبياً. معظمهم في كلية الهندسة، ولهذا يأتون الى الجامعة من جهة البحر فيوقفون سياراتهم على كورنيش المنارة، ثم يعودون إليها مساء، مع ما يعني ذلك من عدم اضطرارهم الى العبور بين الكليات والساحات الأخرى حيث يلتقي الطلاب ويختلطون.

الطلاب النموزج المنتمي الى «حركة الشعب» المؤيدة للنائب نجاح واكيم، هو ذلك المحقق (او المنتقلة اليه بسبب من واكيميته)، ملامح ناصرية عتيقة، حاول وهو الحديث العهد في السياسة والحياة، ان يوظفها في اعتراضه على الحكومة والدولة، وايضاً في نصايه وطريقة مشيه وكلامه. الواكيميون هم الرحبانيون

الجدد (والنسبة هنا الى زياد الرحباني لا الى الاخوين رحباني). فموسيقى زياد واغانيه هي أناشيدهم ولحيته وكنفته هي نمونجهم. أنهم أكثر تطرفاً في معارضتهم من الطلاب اليساريين، وهم لاختلاط الآمنة والأفكار في أذهانهم، حاولوا توليف شعارهم الانتخابي من حقبات وافكار مختلفة فجاء على الشكل التالي «في زمن لا ينتمي الى الداروينية، في زمن لا يضع بالغيبية، نحن شعب لا يؤمن بالمستحيل... أين الزواج المدني؟».

القوميون السوريون المرشحون الى الانتخابات الطلابية في الجامعة الأميركية، هم احفاد وابناء لمؤسسي الحزب وقياديين. حفيد زعيم الحزب انطون سعادة وابنة النائب القومي مروان فارس وابناء آخرون لقوميين غير معروفين، جاؤوا الى الجامعة قوميين،

قوميتهم رفعا شعاراً يعلنون فيه عدم اهتمامهم بان يفهمهم احد «افهمونا ام اسأؤوا فهمنا، سنعمل للحياة». لم يحسم اعضاء مجموعة «يسار بلا حدود» في الجامعة الأميركية مدى قربهم او بعدهم عن الحزب الشيوعي ولهذا فهم غير مفهومين من طلاب كثير. «من هم هؤلاء؟ وماذا يريدون؟» هكذا تردد طالبة في الجامعة عند سؤالها عن رأيها فيهم. أنهم مرشحون بكثافة هذا العام. وهم مترددون كما هي حالهم مع الحزب الشيوعي، في مواقفهم من الامور والاحداث. وهم متسائلون أكثر مما يحملون اجوبة.

أما الطرف الطالبى الجديد هذا العام فهم اعضاء النادي البيئي في الجامعة المدعومون من ادارتها، إذ أعلن مدير الجامعة قبل اسابيع تسجيل عضويته في ناديهم. وتشجع الادارة نشاطاتهم بصفتهم طلاباً بعيدين عن السياسة. البيئيون في الجامعة الأميركية يعتبرون ان السياسة خربت البيئة في لبنان، في حين اعتبر طلاب آخرون البناء نقاشهم مع جماعة البيئة، ان لا بيئة من دون سياسة.

قليلون هم مرشحو تيار «المستقبل» المؤيد لرئيس الحكومة رفيق الحريري وهم عاتبون على زملائهم في التيارات الأخرى «لرجحهم في تنافس بين مؤيد للحكومة ومعارض لها». وحذروا من الانقياد وراء شعارات خادعة. ويرجح الناشطون الطالبيون تراجع نفوذ «طلاب المستقبل»، هذا العام الى انخفاض عدد المنح الدراسية التي كانت تعطىها مؤسسة الحريري للطلاب.

من الواضح ان تفككاً أصاب قوى الاستقطاب الطالبى في الجامعة الأميركية، لمصلحة طموحات وصور أكثر فدية. والضعف الذي أصاب قوى كانت جاذبة كحزب الله، والحريري، لم يكن لمصلحة قوى جديدة، إنما جذبهم في الغالب نزوغات أخرى، كالبسطة والموسيقى، وان تكن التيارات الجديدة ك«يسار بلا حدود» جذبت إليها بعضاً من الطلاب، ولكن لا يبدو ان لهذا الاستقطاب افقاً ووظيفة، هذا باستثناء العونيين الذين سا زال في حوزتهم جاذبان هما: مسيحيتهم في المنطقة الغربية لبيروت، وقمعهم الذي سبق ان حرك طلاب الجامعات في لبنان العام الفائت.